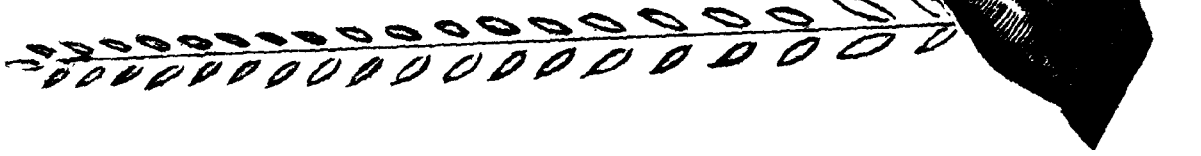


# النتائج الجديدة



## عينان بلا لون

خالد الحلبي - كتاب نشر من القطع المتوسط - 107 ص - مطبعة  
النعمان - النجف 1962

\*\*\*

ما من احد يستطيع ان يزعم ان المقالة الادبية ما زالت تحتفظ  
بالاهمية التي كانت لها في الجيل الماضي : جيل الزيات والمنفلوطي  
والمازني وجبران والريحاني وطه حسين ونعمية ، وليست هذه  
الظاهرة امرا من غير تعليل ، وانما هي ظاهرة يفسرها الفارق الفكري  
والذي بين الجيلين ، وربما كان بمقدور من يتجرد الى دراستها  
ان يلفت النظر الى ان من نتائج التجديد الذي اصابه الشعر العربي  
الحديث في الربع الماضي من القرن الحالي انه ردم الهوة الفاصلة  
بين مدرسة شوقي وحافظ الشعرية التي ظلت في خطوطها الصامدة  
تنزع الى التقليد وفخامة التركيب وقاموسية الالفاظ وعمومية  
التجربة ، وبين المقالة الادبية المنفتحة على النهج الغربي والنزعة  
الرومانسية المتثلة لتجارب الذاتية الكثيرة والهجوم الفردية التي  
كان يعانها جيل ما بعد الحرب العالمية الاولى .. فكان شعر مدرسة  
( السديوان ) ومدرسة ( المهجر ) ومدرسة ( ابولو ) والشبابي  
وعلي محمود طه وناجي وابي شبكة والاخلط الصغير والنتاج المبكر  
للشعراء الشباب المعاصرين ، بتأكيد على التجربة الفردية والاساليب  
الملونة الشفافة والصور القريبة الصادقة ، بديلا تعبيريا واستمرارا  
زمنيا لمقالات جبران والمنفلوطي الرومانسية ، وبذلك فقدت المقالة  
الادبية لديهما المبررات التاريخية لاستمرارها بنفس القوة والشبوع  
بمسد ان تولى الشعر النهوض بالتعبير عن الاهداف التي قامت  
من اجلها .

وعلى ضوء هذا التحول الخطير الذي شهده الشعر العربي  
نستطيع ان نسر ظاهرتين مهمتين ، الاولى : هبوط المقالة الادبية  
هبوطا كمي ملحوظ بالنسبة الى دواوين الشعر الكثيرة ، والثانية :  
التشابه الكبير بين القصيدة والمقالة الادبية في الاساليب والصور  
والاجواء ، حتى ليصح الزعم بان الموسيقى هي اليوم العلامة الوحيدة  
الفارقة بين الشعر والمقالة .

واذا كان هذا التشابه نتيجة حتمية لامحاء الحدود التي كانت  
تفصل بين شعر الجيل الماضي : جيل شوقي وحافظ والكافمي  
والرصافي ، وبين مقالته الادبية ، مما أدى الى اتحاد القصيدة  
والمقالة المعاصرتين في مجرى فني واحد نتيجة انفتاح الشعر الحديث  
على الاساليب الجديدة ، فان هذا التشابه الذي نأمل ان لا يؤدي  
في النهاية الى الفناء المقالة ، هو الذي اعطى - فضلا عن اسباب  
اخرى لا مجال لشرحها هنا - المبرر الموضوعي لدى البعض في محاولة  
العيب بالحدود المميزة للانواع الادبية المعاصرة حتى عدنا نسمع  
بسميات لا نعي لها وجودا مستقلا او دلالات واضحة مثل : الشعر

المنثور ، الشعر الموزون ، الشعر الطليق ، قصيدة النثر ، النثر  
المشعور ، مما سيؤدي بالضرورة ، اذا لم يبادر النقد الى وضع  
حدود مميزة مبررة لهذه الانواع ، الى تسيب ادبي تهدر فيه القيسم  
الفنية وتضيق هيبة النقد الرصين .

فما هي العلاقة بين ما انتهت اليه المقالة الادبية وبين نقدنا  
لهذا الكتاب ؟

اننا على ضوء ما قدمناه من تقارب القصيدة والمقالة نستطيع  
ان ننظر الى كتاب « عينان بلا لون » من خلال المقاييس النقدية  
التي ننظر من خلالها الى الشعر ، آخذين بعين الاعتبار الفروق  
التعبيرية بين القصيدة والمقالة .

واذا كان الامر كذلك ، فاننا اذا تخطينا مقدمة المؤلف التي  
تذكرنا بمقدمة نزار قباني لكتابه « الشعر فنديل اخضر » نجد ان  
كتاب « عينان بلا لون » مجموعة مقالات نثرية جميلة عكس المؤلف  
من خلالها حكاية قلبه ونثر فيها طرفا من آرائه في الادب والحياة .

واول ما نلاحظه في هذه المجموعة هو النزعة الرومانسية التي  
تسبب ظلها على معظم مقالات الكتاب ، فتأمل هذا التهويم والشفق  
بالرأة والطبيعة في قوله : « اواه يا حبيبي ... لو مرة يفتح الافق  
عن فجر اراك فيه فنظوف رحاب الدنيا وحيدن نقتات من حيننا  
احلى اللحظات .. وافتح سر عينيك المعبب .. وأغرق في ابتساماتك  
التي ترسم امامي أشياء مبهمة لاحتيلها اسرارا مفسوحة » ، وانسه  
ليؤكد على الحب المحزوم وما يرتبط به من تفرد وحزن : « وعندما  
لجأت الى فراشي وجدت ان عيونني لا يمكنها ان تغفو ، واحسست  
ان دموعا حارة كانت تبلل وسادتي » ، ويغلو في ذلك غلوا كبيرا :  
« وسأقف امام نافذتك طيفا قد يبدو غريبا ، وأبكي ثم أبكي من  
جديد حتى تشرق الشمس » ، وهو انطلاقا من هذه النزعة يعمد الى  
الرحيل فاصدا لكي لا تتم حكاية حبه ، وليواصل بث حنينه واشواقه  
مع انه يخبرنا في المقالات الاولى انه كان يلتقي حبيبته ويجالسها  
ساعات طويلة !

واذا كانت الرومانسية قد أدت مهمتها كمذهب فني مثل  
الحياة الجماعية لجيل ما بعد الحرب الاولى وبدأت منذ الحرب الثانية  
على وجه التقريب تفسح المجال لمدارس جديدة ، فانها حتى اليوم  
لم تنته في حياة الافراد ، فهي خير ممثل لفترة الحيرة والفراغ  
النفسي الذي يعص به الفرد في مرحلة الصبا ، وهذه الحقيقة  
هي التي تفسر لنا اقبال الناشئين على ادب جبران والمنفلوطي وشفقهم  
به رغم انه لم يعد يمثل المرحلة الجماعية المعاصرة ، واذن فوجود  
النزعة الرومانسية في هذه المجموعة ضرورة لازمة كانعكاس نفسي  
عن المرحلة الزمنية التي يمر بها المؤلف .

ولكن تتبع المؤلف الدؤوب للنتائج المعاصر المثل للتياسارات  
الادبية الجديدة ادى الى اغناء مقالاته وبخاصة الاولى منها ( ص 9 -  
ص 23 ) ببعض المسسات الفكرية الناصجة واثرائها بالرموز

علم النفس بأنه القدرة على « احتفاظ الفرد بما مر به من خبرات  
وبما حصله من معلومات وكسبه من عادات ومهارات - أصول علم  
النفس ص ٢٦٩ » .  
ومهما يكن ، فان لي من علمي الأكيد برهافة حس المؤلف وقراءته  
المستوعبة املا وطيدا في التطور بأدبه نحو الافضل والاكمل .

عبد الجبار عباس

الحلة

## اشباح وظلال

شعر : عبد الله الجبوري

١٥٤ صفحة من القطع الكبير - مطبعة المعارف ببغداد

\*\*\*

( اشباح وظلال ) هي المجموعة الشعرية الاولى للشاعر عبد الله  
الجبوري ، وهي مجموعة اقل ما يقال فيها : انها نتاج روح فنية عاشت  
احداث بلادها . وذلك هو الحق بعينه ، لان اغلب شعر المجموعة يعرض  
لنا المشكلات التي عصرت العراق واذبلته فتائر الشاعر لما جرى فسي  
بلادها فاستل ريشته ، وراح يغمسها بدماء قلبه ، ليدون اناشيده وآلامه  
للناس في كل مكان .

هذه حقيقة يجب ان نسلم بها ابتداء ، ولست اقول ذلك عن الشاعر  
الجبوري فحسب ، وانما عن اغلب شعراء العراق الذين اصدرنا  
مجموعاتهم الشعرية بعد ١٩٥٨ وما رافقتها من احداث وتيارات عديدة نحن  
في غنى عن ذكرها الان . الا ان مهمة الناقد لا تقف عند حد التسليم بهذه  
الحقيقة ، فليس ذلك من مهمته ، ولا من رسالته ، انما هي تقييم العمل  
الادبي بصراحة تامة آخذا بنظر الاعتبار تلك الظروف وهذه الحقيقة التي  
ذكرناها قبل قليل التي لازمت الشاعر الجبوري وبعضا من شعراء العراق  
في تلك الفترة . وفيما يخص المجموعة ، فقد شاء الشاعر ان يسجل  
معنى لها في بيتين من الشعر فقال :

هذه الاشباح يوما تتجسد فيمر العسر منها يتهدد  
و ( ظلال ) المرء تذوي كالشذا في ضباب الكون - يوما ستوسد  
ونظرة اولى الى المجموعة ، فاننا نجد في الصفحات الاولى مقدمة  
كتبها الشاعر المعروف حافظ جميل استغرقت صفحتين ، وبديهي جدا  
ان تكون المقدمة عرضا للنتاج وابداء رأي مجمل فيه ، ثم تقديم الشاعر  
الى القراء بصدق ، وبأسف قاريء المجموعة ان يجد « حافظ جميل »  
يطري « حافظ جميل » نفسه في اسطر الصفحتين كلها الا بضعة اسطر  
قليلة خصصها لذكر الشاعر ذكرا بسيطا ، ثم يمضي كاتب المقدمة فسي  
استعراض حياته الادبية الخاصة : « كنت استوحى جميع قصائدي مما  
يختلج في صدري » . . . و « كنت لا استجيب الا لداعي ضميري  
ووجداني . . . » و « كنت احس ان النبع الذي اعيش فيه زاخر  
بالمائب . . . » و « كنت لا اكرث بان اثر سخط الناس علي . . . »  
و « نظمت في السياسة والاجتماع » و « نظمت في الغزل » و « كنت  
صريحا . . . » و « لم احاول ان اماليء احدا في عقيسدة او تزلف »  
- وطبعا ، فنحن لا نريد ان نذكره هنا بقصيدته التي يمدح فيها (صاحب  
الجلالة) الملك فيصل في صدر ديوانه ( نبض الوجدان ) ! - و . . . (كنت  
جريا . . . ) و « لم اخضع لمشيئة المجتمع . . . » و . . . و « كنت احارب  
الفساد » و . . . الخ

ولعل كون المقدمة لم تف بالغرض ، مما دفع الشاعر الى ان يطلب الى  
الشاعر العراقي المعروف محمد الهاشمي لان يكتب له كلمة ، والحق ان  
كلمة الهاشمي مع قصدها ، كانت تبغي الغاية المرجوة ، فعرضت شعر  
المجموعة باسهاب للغاريء . الا ان الشاعر لم يكتف بهاتين المقدمتين ، فقد  
اثبت في اخر المجموعة تقريرا للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجة ، وقصيدة  
للشاعر محمد حسين الصفي ، ونحن لا نجد ضرورة لكل ذلك ، استنادا  
الى القاعدة المعروفة التي تقول : « ان النتاج يعرض نفسه » . علي

الموحية . اقرأ مثلا هذا النص الراعش بمعاناته وصدقته : « وبعد  
حين وجدت امامي امرأة كدت التهمها . ولكن شيئا قويا أوقفني  
في مكاني عندما رأيتها ، فقدمت لي سيفا وقالت لي اذهب به صوب  
شمال المدينة فستجد غرفة جدرانها من الزنبق ونوافذها من الاقحاح ،  
واذا ما ولجت هذه الغرفة ستجد امرأة تطل من النافذة الخلفية ،  
ان تمكنت من غرز هذا السيف في ظهرها ستعود الحياة هنا ،  
وسيجري في الفضة التي تملأ المدينة : أناسها ودروبها وانهارها ،  
سيجري دم الحياة ! . . مشيت الى غرفة الزنبق والاقحاح ومعني  
سيمي ، حتى اذا ما وصلت هذه الغرفة تسمرت قدمي في مكانهما ،  
وبعد جهد طويل دخلت الغرفة فوجدت المرأة التي تطل من النافذة  
الخلفية وغرزت السيف في ظهرها بشجاعة لم اعهد لها في نفسي  
من قبل ! . . وبعد هذا . . . اتعلمين كم تألمت وحزنت ؟ لقد كانت  
المرأة التي قتلتها هي التي اعطتني السيف ، فرحت ابكي وألم دموعي  
لاشربها . ووجدت الناس وقد تجمعوا حولي وهم يغمرونني بالقبل  
والاعجاب . » . فاین هذه الرموز المعبرة عن تجربة الفشل البطولي  
والتعرف الموحش من تلك العواطف الشاحبة التي يسفحها الكاتب  
يسر من خلال تكراره لمعان وصور جاهزة .

وظاهرة اخرى تتضح في الكتاب : ان المؤلف لم يلتزم نظرية  
ثابتة وزاوية محددة يكون له فيها منهج ثابت لا تختل امامه الرموز  
والاشياء . وخير ما تتضح هذه الظاهرة في تناقض شخصية  
( الحبيبة ) مما يوحي بانها امرأة منحوتة من الوهم ، فالمؤلف  
في ( ص ٢٢ ) لا يتردد في اعتبارها من الفتيات المراهقات اللواتي  
يروق لهن ان يتشبهن بالبغاوات فيرددن ما يسمعهن بفخر واعتزاز ،  
ولكنه في مواضع متفرقة من الكتاب يعلمنا انها تقطع الوقت فسي  
التأمل والمطالعة والرسم والجلوس في ظلال الاضواء الخافتة ، وانها  
كتبت رواية باسم « العودة » ، وانها سألته ذات مرة عن اهمية  
التقاط في الشعر الجديد ، وتكلمت حول كتاب « سيف بن ذي يزن »  
فما معنى هذا ؟

لقد اصبح التحدث بلغة الخطاب الى المرأة تقليدا ادبيا شائعا ،  
وهو على أية حال بعث لتقليد ادبي قديم كان له ما يبرره في الماضي ،  
ولكن . . . يبدو ان هذه « المرأة » او « الحبيبة » الجديدة لا تصدو  
ان تكون ممعرا مطروفا يلج منه الشاعر او الناثر ، ولونا من الدندنة  
التي يصطنعها قبل ان يبدأ لحنه ، كما يقول الناقد فاروق شوشة  
( الاداب مايو ١٩٦٠ ) وهي بالتالي ليست غير حيلة فنية يعرض  
الكاتب عن طريق مخاطبتها ما يريد عرضه من آراء وافكار . .  
واذا كان ثمة ماخذ اخر يؤخذ به الكاتب ، فهو احكام بعض القصائد  
على المقالات ( ص ٩٧ - ١٣٦ - ١٤١ ) وجفاف بعض الفصول وتحولها  
من توهج المعاناة اللاواعية الى مناقشات موضوعية كما هو واضح  
في مناقشته لمسألة اهداء الكتب ( ص ٩٧ ) وحديثه عن اهمية  
التقاط في الشعر ( ص ١٢٧ ) ومناقشته للمقاد ( ص ١٢٨ ) ونقده  
لرواية الساعة الخامسة والعشرون ( ص ١٢٦ ) وتعرضه للازمة المالية  
التي يعيشها الاديب ( ص ٩٣ - ٩٤ ) ولا ادري اذا كان الاخ خالد  
مضطرا الى ان يقحم هذه الآراء - وهي آراء صائبة بحد ذاتها -  
في مقالات يفترض ان تفقد فيها الاشياء قيمتها الموضوعية لتكتسب  
وجودا رمزيا متوهجا قبل ان تكتسب وجودا فكريا باردا .

ولئن كان الناقد لا يملك الحق في مؤاخذه الكاتب على الطابع  
العام الذي يسود عملا من اعماله ، فان له الحق في مؤاخذه على  
تكرار بعض الافكار . فخالد في ( ص ٦٠ ) يقول : « واليوم شاهدت  
فتاة عابرة ، ولكن شيئا ما سدني اليها ، شيئا قد لا اعرفه الان !  
ولكني تمتعت « انها تشبهها كثيرا » وعدت احداق فيها بوقاحة ،  
ووجدت ان لعيونها لونا ما فتركتها » ولكنه يكرر هذه اللقطنة  
الجميلة في ( ص ١٠٠ ) ، ولا حاجة بي الى تشبيه المؤلف السى ان  
هذا التكرار دليل حاسم على انطفاء المعاناة التي تخلق الجديد ابدا ،  
وبرهان اكيد على شيوع آفة الادب عموما : الوعي ، الذي يعرفه

اننا لا نستطيع لوم الشاعر على ذلك فربما كانت له غاية نجهلها او كان ممن تأثر بالطريقة التي انتهجها شعراء العراق ومصر في اوائل ثلاثينيات القرن الحالي في هذا الشأن .

يقدم الشاعر مجموعته الى : « رسول الحق والمساواة . الى رسول الحرية والسلام . الى محمد بن عبد الله ص » وفي ذلك ما يوحي لنا معنى المجموعة . والنق ان مضمونها - كما قدمت - مستوحى من جو العراق طول اربع سنوات عاصرها الشاعر فلا عجب ان يهدي نتاجه الى الرسول الكريم وهو اول من رفع راية الحرية على الارض بصورة عميقة ذات معنى شامل . ومن شعره السياسي قصائده : « كالشمس مجلدك » وهي مهداة الى المجاهدين في الجزائر ، و « صرخة الشعب » و « ارض العروبة » و « وفد الجهاد » وقيلت استقبالا للوفد الجزائري الزائر و « تحية الحياض » و « نداء الخلود » و « مذبذب » و « في الجزائر » و « تحية الجيش » و « سارت قوافل امتي » و « فلسطين » و « أغنية المجد » و « الوحدة العربية » و « دجال .. » و « ياربى الاحرار ثوري » .. الخ . ومن ذلك تجد الشعر السياسي يكون الجزء الاعم من المجموعة الشعرية هذه . اما كيف كان مستوى هذا اللون من الشعر؟ فذلك متروك للناقد الذي يدرس المجموعة ليعطي رأيا مفصلا ، ومع هذا - ونحن نكتب هذه الكلمة المتضخمة - يمكننا القول : ان الشاعر عبد الله الجبوري جارى طابع شعراء العراق السياسيين في الفترة ما بين سنة ١٩٥٨ - ١٩٦١ ، وهو الطابع الخطابى الذي لا يحفل بالرفقة وعمق التجربة الشعرية وابرار القيم الشعورية التي تضم « الخصوصية في الشعور » و « مدى العمق والشمول في الاتصال بالكون والحياة » و « صحة الشعور وصدق الاتصال » - ولا نشك في كون الاخيرة ملازمة للشاعر في نتاج المجموعة السياسي ، اما الخاصيتان الاوليتان فكانتا مفقودتين واعني بهما « الخصوصية في الشعور » و « مدى العمق والشمول » - ثم هو لا يحفل في شعره السياسي بالقيم التعبيرية التي تشمل : « الأيقاع الموسيقي » و « الصور والظلال » و « الاسلوب » . فابست تصادف الكلمات التالية في اغلب قصائده : « الاوغاد » و « اللثام » و « مذبذب » و « كالفرد » و « الدعارة » و « الخنا » و « يكر » و « وغند » و « الحضيض » و « يا متمشداق » و « المومس » ... الخ ولست ادري كيف يوفق بين هذه ( الثرية ) و ( الخطابية المججلة ) التي تتأى بالشعر عن مقومات القيم التعبيرية وبين قوله في قصيدة له يقول - وطبيعي ، اننا نأخذ منها المعنى فقط :  
ان روح الشعر صدق هو تصوير الشعور  
هو وحى عبقرى من سماوات الضمير  
هو وجدان وحس انه دققات نور  
هو كاطل ندى مشرق فوق الزهور  
هو سر سمرسدي يتجلى .. كالبودور

ولكن المشكلة - في الحقيقة - تكمن فيما آل اليه بعض شعراء العراق ، وذلك يعود الى ارتفاع التيارات السياسية الى درجة لم يستطع الشعراء التعبير باللفظ الرقيق او الاحتفال بالاسلوب والموسيقى والصور والظلال ، فلقد كان لسان الناس يومئذ الرصاص ، ومن ذلك جاء شعر عبد الله الجبوري السياسي . وما دنا بصدد الحديث عن هذه الفترة فاننا نقول : ان الشاعر وليد الاعظمي استطاع اول الامر ان يرفع بمستوى قليل عن التيار وحاول جهد طاقته ان يلتزم بالقياس التعبيرية ، ولكن شدة التيار السياسي في اواخر حوادث العراق قبل ثورة رمضان جعله يسلم بالامر الواقع ، اما الجبوري فقد تأثر بالاعظمي الى درجة واضحة سواء في استهلال قصائده السياسية او في العنسى والاسلوب - ولو قليلا - وهذا ما اكده الجبوري نفسه في مناسبة ، من ان ندوة كانت تضم بعض الشعراء - ومنهم الجبوري - تجتمع اسبوعيا في دار الشاعر وليد الاعظمي ، سرعان ما انفكت خشيمة ان تؤول تاويلا آخر من قبل المسؤولين ابان حكم قاسم .

وغني عن البيان ان شعرا كهذا لا يكتب له الخلود ، اذ سرعان ما ينسى الناس الحوادث مهما بلغت درجتها ، فالفرد يعيش ذاته ومصيره وهو

يتأثر وراثيا وبيئيا كما يقول علماء الاجتماع ، فاذا مضى على الجرائم في كركوك والموصل عهد ، تناسى المجتمع هذه الاعمال وان بقيت انطباعات خاصة منه ، وعلى هذا يضطر الافراد الى ان يتأثروا بالمتج وان يكتفوا آراءهم وفق آراء المجتمع . ومع ذلك فان الشعر السياسي هذا سيبقى - مع كل ذلك - صفحة بيضاء نسجل جهاد الشاعر ، وتسجل « فترة » خاصة تهم المؤرخين والنقاد كثيرا ، وفي ذلك - على اية حال - نفع كبير للشاعر الذي انفل بحوادث امته ، ونسي رقيص العبارة والاسلوب الجميل ، لانه - كما يعتقد - يجد امامه شعبا جاهلا متخلفا - حسب المصطلحات الحديثة - لا يهتم للاسلوب والرفقة بشيء . ان هذا الشعب يريد معنى وتفسيرا للحوادث بأية صورة كانت ، ونظرة الى الفئسرة الحمراء تعطينا خير دليل على ما نقول .

ومن شعر المجموعة السياسي الذي يمثل فيه ما تقدم قصيدته « من شعاع النبوة » مثلا وقصيدته « الى عميل » التي نظمت عقب اعتراف ايران باسرائيل وفيها يقول :

حكم يدبر امره استعمار والخي دب بدسته والعار  
حكم تناقل بالذنوب تقوده نحو الهلاك عصابة اشرار  
( الشاه ) للفرب اللثيم مطية عما يضيء طريقها .. الدولار  
كما يقول الشاعر في قصيدة اخرى عن فترة الارهاب :

القتل والارهاب فرض عندهم والعدل والاحسان فصل منكسر  
ومن البلية ان تقول ( زعانف ) باسم التقدم والسلام تزمز  
اين السلام وهذه اوطاننا سيل الدماء بأرضها يتمور  
عندما يتصفح المرء صفحات المجموعة الشعرية « اشباح وظلال »  
مرة اخرى فانه واجد قصائد المجموعة لا تعرض التجربة الشعرية بعمق  
تجعل النتاج واضحا ينفل القاري له من البيت الاول . فقصيدته  
« خلود » مثلا التي نظمها الشاعر وهو على فراش الموت لا تعرض تجربة  
شعورية عميقة ، فحينما كان على الشاعر ان يهيم جوا لقضية الموت  
الذي يعانى سكراته ، نراه يقول بصورة اخرى مخالفة :

لا يخفق الموت اللثيم عواظي أبدا ولا يستطيع مسخ غنائسي  
كالنسر اسبح في الفضاء محلقا بعزيمة جبارة شماء  
مازلت في عمر الورود يرف لي حب الحياة كدققة الاضواء  
وظاهر جدا ان الشاعر يحاول ان يحاكي الشاعر التونسي الشاب  
في قصيدته التي يقول فيها :

سأعيش رغم الساء والاعداء كالنسر فوق القمة السماء  
ولكن هناك فرقا بين تجربة الجبوري والشابي ، وفي موضوعية  
وعمق الحدث . وفي ذلك معنى كاف . ونفس الشيء تجده في قصيدته  
« ابي » فمع ان الشاعر يحاول ابراز تجربته فانه يخفق بين حين واخر  
في ذلك ثم يحاول مرة اخرى تقليد ابي القاسم الشابي في قصيدته  
المشهورة التي يقول فيها اثر وفاة ابيه :

يا موت مزقت صسدي وقصمت بالارزاء ظهري  
ورمتيني من حالق وسخرت مني أي سخر  
فلبثت مرضوض الفؤاد أجسر اجنحتني بذعر  
وقسوت اذ ابقيتني في الكون اذرع كسل وعر  
وفجعتني فيمن أحب ، ومن اليه ابنت سري

ثم تجد الجبوري يقول :

قسم الردى ظهري بموتك يا ابي وانهد ركن سعادتني وسروري  
وتركتني متخبطا وسط الدجى حيران في كف الاسى المسجور  
وتركتني بين الشجون .. مرنحا اغفو على وخر الضنى الموتور  
وعندما ننقل الى صفات اخرى في المجموعة ، فاننا نجد ظواهر

لدى الشاعر لم ترض ، تلك هي مديحه المليء بالمبالغة لاسباب قد نجهلها نحن ، وقد يكون فيها الشاعر محقا - جائز كل ذلك - ولكن الا يسرى القاريء والشاعر نفسه ان الايام لم تضمن لنا « زمنا » معنا ؟ وفي ذلك مدعاة ألم مصير كل شاعر يغالي في مديحه . ولقد وجدت للمديح صورة اخرى عند الجبوري في « اشباحه وظلاله » وذلك انه يذكر « حسنا » لا يتصف بها المدوح ، وقد يكون هذا ادبيا مرموقا ،

وشاعرا له مكانته ولكنه لا يستأهل عبارات منمقة ترفع الى الشيوخ  
فمثلا ، هناك قصيدتان في المجموعة ، احدهما يمدح فيها الاديب محمد  
بهجة الاثري ، ولا يشك احد بمكانة الاثري الادبية واللغوية ، ولكن هل  
يرى القارئ صدق المديح في قول الشاعر التالي ؟ . انه يقول :

اديب العصر يا رب البيان      ويا شمسا تنسج مدى الزمان  
سموت الى الخلود فكل جيل      يشير الى نبوغك بالبيان  
قريظك ( بالبيان ) يفيض عذبا      وبالفرح الحسان من المعاني  
اطبع ( البحرني ) حبيت طبعما      وذاك الطبع لم يوهب . . لثاني

اذا كان الاثري اديب العصر ورب البيان حقا ، فاين تجعل الرافي  
الغد والزيات المبدع وشوقي الامير ؟  
نم اسمعه ( يقول ) قصيدة بمثل المعنى السالف ، يمدح فيها محمد  
عبد المنعم خفاجة :

اديب العرب يا شيخ البيان  
ويا فلك العلوم بنذا الزمان

او كقوله :

انابفة الزمان اليك شكري  
تدفق كالنمير السلسيل

والى هنا ونحن نرجو الشاعر ان ينأى بنفسه عن هذه المبالغات ، في  
الوقت الذي لا نشك فيه بنوايا الشاعر الطيبة ، اضافة الى ذلك فان في  
المجموعة شعرا اجتماعيا رقيقا وغزلا جميلا يعد احسن ما في المجموعة  
من الوجهة الفنية ومن ذلك قصيدته « اليها » وفيها يقول :

هيفاء يا نجوى الصبا المياد      لقيالك باتت غايتي ومرادي  
كم ذا اعلل بالدموع صبايتي      ان الهوى نار على الاكباد  
اوفي قصيدته « الى زنجي في اميركا » :

يقضي « التقدّم » ان تمش ذليلا      والقيسد يلثم زندك المفتولا  
او في قصيدته « قيثارتي تحطمي » :

قيثارتي تحطمي

تخطمي . . وانتشري

واللحن في محرابه

يكبي على شبابيه

وان نذكر للشاعر ذلك ، فلا ننس وفاءه للشاعر العبقرى المرحوم

قد ببح صوت النغم

فالشوق ادمى نغمي

يشكو صرير العلم

بصوته . . المنغم

( ابراهيم ادهم الزهاوي ) ( ١ ) وهو الشاعر الذي احدث نبا وفاته هزة  
لدى اصدقائه ومريديه لما رافقت وفاته من نهاية مؤلة ، فلقد كان الفقيه  
في اواخر ايامه فيلسوفا ، سلفيا ، حتى احرق شعره كله ، استطاع  
بعد ذلك الشاعر الجبوري ان يجمع شعره مرة اخرى ، واطلع عليه  
الزهاوي نفسه في حينه فأمر بحذف بعض الابيات ، والقصائد وخاصة  
ما كان منها في مدح عمه جميل صدقي الزهاوي لانه اتهمه بالكفر . وقد  
كتب الجبوري مقدمة طويلة وافية ، وسيشعر الديوان في القريب . ومن  
رثائه قوله :

الشعر يندب اوحسد الشعراء      ويفيض دمعا دافه بدماء  
و ( الصاد ) قد فجمت وراح عويلها      متهدجا ويحوب كسل فضاء  
كما نذكر الى جانب ذلك وفاءه للاديب الخالد مصطفى صادق  
الرافعي في قوله :

نغم سرى من معزف الالهام      ومعنى يرن بسمع الايام  
نغم واين السحر من ترجيعه      وتر الخلود يشبه . . بنظام  
وختاما ، فانه لزام علينا ان نعترف للشاعر عبد الله الجبوري بانه  
يشق طريقه بصورة تشبه . . الاعجاب ، وما « اشباح وظلال » الا بداية  
موفقة له كما شهد بذلك عدد من اصدقائه ، وان كانت هنالك بعض  
الماخذ على المجموعة فليس ذلك الا اهتماما بالشاعر ، ذلك الاهتمام  
الناج عن الاعجاب .

ان « اشباح وظلال » النتاج الثاني لعبد الله الجبوري يشير بخبر  
لنتاجه الادبي العام بعد ان اصدر قبل ذلك كتابا بعنوان « نقد وتعريف » .  
ويسرنا ان نترقب مؤلفاته القادمة ومنها « شعراء العراق في القرن  
العشرين » و « رباعيات الجبوري » و « ديوان ابراهيم ادهم الزهاوي »  
و « شرح وتحقيق ديوان الشاعر الشامي امين النقيب ١٠٨١ هـ » - وقد  
وافق المجمع اللغوي السوري على طبعه مؤخرا -  
نبارك - اخيرا - للشاعر جهوده هذه ، ونرجو له التوفيق . \*

ابراهيم السعيد

بغداد

( ١ ) انظر رسالة العراق الخاصة في « الافق الجديد » المقدسية  
العدد ٢٤ - السنة الاولى : « مات ابراهيم ادهم الزهاوي . . وفقده  
الشعر العراقي علما من اعلامه » لكتاب هذه السطور .  
( ٢ ) القيت في جمعية المؤلفين والكتاب العراقيين .

# الاشتراكية والادب

ومقام الاثري

تأليف

الدكتور لويس عوض

دراسات معمقة عن النزعة الاشتراكية  
كما تبدو في آثار اكبر الكتاب العالميين

صدر حديثا عن دار الآداب

الثلثون ٣٥٠ ق.ل